دفاتر الشعر

عبد السلام حلوم

يسمونه عندنا

يسمونه عندنا

عبد السلام حلوم

يسمونه عندنا

- يسمونه عندنا
- شعر
- عبد السلام حلوم
- إصدار ملتقى حلب لقصيدة النثر
- لوحة الغلاف : الفنان فاتح المدرس
- تصميم الغلاف : يارا
- التنضيد وتنفيذ الطباعة : كوبيا لخدمات الطباعة

الإشراف والإخراج الفني
حسين برو

عبد السلام حلوم

شاعر سوري
من مواليد ادلب 1963
دبلوم في اللغة العربية وآدابها بجامعة حلب

من مؤسسي ملتقى جامعة حلب للأدباء الشباب
من مؤسسي ملتقى حلب لقصيدة النثر

صدرت له الأعمال الشعرية التالية :

1 ـ مديح شاسع للقش ـ 1991
2 ـ كانات الرجل ـ 1999
3 ـ الحائط ـ 2006

4 ـ يسمونه عندنا ـ 2008
5 ـ كما غداً ـ 2011

الفهرس

أمومة الجوري
11
نيسان
23
مكالمات لم يرد عليها
27
أوان الحواس
39
شموع
49

الساعة
55
يسمونه عندنا
61
طلل 67
التضاريس الكاملة للصدفة
71
الثلج 77
الدرج
85
الذين رحلوا
89

أمومة الجوريّ

أمّي أتيت لأنام ...

فما عليّ من كسر النوم ، تراكمَ حتى انشقّ في الصدغِ واد

لا يردمه إشفاق سبّابةٍ تهالكت من الرعش

ولا اعتصار جبينٍ ناكسةٍ

إبر النعاس الرّشيقات كما إبرك في اللحاف ، خرّمت مقلتيّ

مرّي بأصابعك على جفوني

لن أفطن إلى أنّها تضاءلت إلى حجم الكفّ الأزرق معلّقاً

هنالك، على عاتقي في المهاد ،

مدِّي لي فراشي نفسه

لن أخالس في طيّاته صُرَرَ نقودك وأطواق الخرز

وسِّديني مخدّتي التي جزَرْتِها من صوف عرسك ،

وطرَّزْتِها بالفراشات والحجل

لن يحسَّ خدّي بأنَّ حريرها ترهّل ،

ونزحت ألوانه في سماء الزيرقون

غنّي لي

فلن أنتبه لما نسيت من الكلمات ، ولا لخلل القوافي ،

فكلُّ ما يتهادى إلى سمعي ،

صرير سريري الخشبيّ يضبط عتابكِ الرخيمة

وينهض في حقول الرّوح ،

يحمل عنيّ هذي المنامات الكابسة على صدري كعفاريت

الحكايات.

احكي لي ،

حتى ولو غفلت

لا تتوقفي عن خدَر الخيالات

احرسي بأنفاسك نومي

فربما بكّرت الديكة

ونقرت ما تبقى واضحاً منّي تحت غطائك الوثير.

شدّي على شباكنا الشرقيّ أكياس الطحين

استريني من سياط الشمس

أمّي نسيت الفطور

فلا تفركي الزعتر البريّ على طبق القشّ

فسوف يوقظني برائحته الأخّاذة إلى الجبل .

أتيت لأنام ...

لا لأرى قامتكِ صارت أقصر من حبال غسيلك ،

حتى تنشري جواربي على حجر الجبِّ

والمخمل الذي كان كلّما عتق عليك حلا

صار فضفاضاً على نهديك

وتراجَعَتْ وردائه إلى بقع كالحة

وزنّاره صار يضيق على خصرك كأنّما ليقطعه .

لا لأحصي على تعدادك الذين ماتوا

والذين خانهم الحظ

وسنوات غيابي

واللواتي فقدنَ الأمل

ولا شيء يزداد فيكِ غير الدمع .

لا لأرى أحفاد هرَّتك

والأغصان التي نبتت في شجرة التوت

والحَنْيَةَ البادية على السّروة

ومطرح الأرجوحة الحافرَ في ذراع الجوزة

جرحاً حتى النسغ .

لا لِتسأليني ،

من أين لي هذا الشخير المسموع حتى مفْرَق رحيلي ؟

وهذا السباب الذي يكاد يوقظ المخفر ؟

وهذا الضجيج تحت أسناني كرحىً تطحن الجلبان ؟

ومن أين لي هذا الشيب البازغ حتى في الأهداب

وهذا الصّمت الذي ما كان لجدّي ،

حين عطّله الفتاق عن ترقيص البواريد وحَدوِ الجياد ؟

لا لأرى حصوتي التي أسندتِ إليها خابيتك قد أعشبت

وخيوط حذائي الأول ما تزال تتدلّى على كتفي مرآتك كجديلتين

وأنَّ الجوريّة التي باسمي

قد أغلقت جهة بكاملها وصارت مهابط للحمام

وأنَّ حروف إملائي الأول

قد جرّت كل هذا الياسمين على الحائط الغربي !

أو أرى دفّة المطبخ وقد تناحَل فيها الخشب

وما عادت تكفي لأعلو بها وأتلقَّفَ طُعمةَ الجارة

وبريد ابنتها .

أمّي أتيت لأنام

هل ما عاد بوسعه أن يتحمّل ظهرك ثقل الأمانة

حتى لوّحت لي بمفتاح الخزانة

برّاقاً وقد استّبدلتِ بخيطه القنّب زردةً من الفضة

وكعادتك تقرئين ما بين أضلاعي

أوارِبُ فتمضين بأصابعي تماماً كما في الحبوِ

أفتحها ينهمر الورق ويندلع البكاء .

نيسان

أنا نيسان

أوّزع كما يحلو لعاشقٍ المطر هدايا

فلا تحطُّ حبةٌ منه على فخاخٍ

بناها الشوك في طريق النزهات

أحيّر بشمسي كلاب الظّهيرة

وفي حضنها ينسى النهارُ

تلك اللحظة التي تساوى بها مع الليل

أمسّح بكفي المريميّة رمد الأبواب

فتنتبه للعشب

كيف يشدُّ بأهدابه الغضّة على العتبات

أرشُّ بالندى وجه الأرض الدائخة من الدّوران حول نفسها

فلا ينكسف الترابُ

أنقّل غبارَ طلعي حيث شاء النحلُ

فتشْهدُ الملكاتُ عسلَ الصدفةِ

وأبقى مفتّح الورد أنا

فكفّوا عني ،

لا تعلقوا على أوّلي خرائبَ العمّ آذار

لا تشدّوني من سنابلي عنوة إلى حصادٍ نافلٍ

اتركوني

فالكذبة أكبر من صيف

مكالمات لم يردّ عليها

أنا ساعي البريد

بعالي الحزن

أبعث إليكم آخر مكاتيبي ،

وربّما أوّلها

وبعالي الحزن

أقدّر ارتعاشَه وجحوظَ عينيه كمطقوق العقل ،

جدّي الذي قطعَ الوحلَ ، والجُردَ ومخالسة الضباع ،

وفَجأة الحيّات كي يصل القراءة ، ويضربَ ثلاثةَ عصافير بحجر

يشتغل كقرّاء ، ويعرف أخبار الدنيا ،

ويتوَّسط لواحدٍ من نسله في وظيفةٍ

هو الآن ، يـجفل كلّما رنَّ الموبايلُ

ونطّت بجيب سرواله العفاريتُ الزُّرق.

وبعالي الحزن ؛

أقدِّر بقايا أنفاسها كغبشٍ على بلّورٍ وانكماشها على السُّدادة كأمٍّ

وناشفَ الحبر يظلِّل تفاصيل أنوثتها في القامة المربوعةِ ؛

فهذي الدّواةُ

منذ الريّش ما غلَّقت رحمها على أحدٍ

هي الآن ، تدخل سنَّ اليأس في الأدراج ،

المركونة هي الأخرى ،

قفلُها دون مفتاحٍ .

وبعالي الحزن ،

أقدِّر دهشتها ،

هذي الجِمال

التي برَا سنامها خرجُ البريدِ

تنيخ الآن تحت إطارٍ في لوحةٍ

على جدارِ متحف .

وبعالي الحزن ،

أقدِّر الصمت المطبقَ في حنجرته

هذا الحمام

فقد ظلَّ يزجلُ حتى داخ ،

كيما يُعدَّ بحّةً نادرةً في مقام الهديل

وكي لا يُتّهم بالخرف جنس الطير ،

أسلم للقباب أطواقه وخلاخيله ، وبعضاً من زغب الجناح

وحلَّق ، حتى لم يعد بالعين المجردة ، يُرى

هو الآن يقبع في الكتاب المدرسيّ كتاريخٍ مُصبّرٍ

وبعالي الحزن

أقدِّر عبوسها في وجهي ،

هذي الصفحةُ ،

كم راودت القلم عن حبرهِ

كي تتخلَّص وإلى الأبد ، من بياضها في العنوسةِ

هي الآن ، بلا سطورٍ ، بل بلا كلمات ولو من رصاصٍ ،

محْزومةً ، لا أكثر من وجهٍ لورقةٍ في ماعون

وبعالي الحزن

أقدِّر أن يهرَّ ، عندما أربّت على كتفيه

هذا الصندوقُ

فقد أكلته الوحشةُ

ونخرت أوصاله أعشاش الدبابير .

وبعالي الحزن

أقدِّر شحوبه في العزلة البادية على ملامحه المصقولة ،

فهذا الظَرف

تحمَّل أن يكون رضابُه من صمغٍ

أن يُقلب على قفاه أن ينتهك حرمَته قطّاعُ الكلام ...

أن يُمزَّق ثوبُه الوحيد وهو يعاندُ في الدخول بينَ العتبةِ وبابها

تحمَّل غرور الطَّابعِ

همَّ الحفاظ على السّر

جحودَ المرسَل إليهم

رعونةَ المشتاق

الزّيَّ الواحدَ ،

السياجَ بلونين

هو الآن يقبع في عنبر المطابع

لا أكثر من كيسٍ نافل .

أنا ساعي البريد

تباهيتُ قدَّام جدي بترتيب الحارات أبجدياً ،

بقراءة كلِّ الخطوط حتى خربشات الدجاج ،

بحفظ المدينة عن ظهر قلب

حبّي الأوّلُ كان بالمراسلة وعمرَها لم تبت في حقيبتي رسالة ،

وما تكاسلت ولو كان العنوان في آخر ما عمَّر الناس ...

ورأيت فيما يرى العابرُ من الطارقين البابَ مشاهد لا تحكى،

كثيراً ما ألحّوا عليّ وما حكيت ؛

والوحيد من السعاة

الذي احتج على أن تصل البرقيات عاريةً ،

وعلى المضمون في عالم البريد

وعلى أن يكون المختارُ بديلاً عنَّا في العناوين المغلوطة

ومكان الذين بدَّلوا حاراتهم

كان أنا

وأنا الآن

أقطع باقي وظيفتي حارساً على خزانةٍ لطوابع التذكار

أنا ساعي البريد

أقدِّر بعالي الحزن

ضجر أسمائكم وهي تفرك حرفاً بحرفٍ

في مكالماتٍ

لم يردّ عليها .

أوان الحواس

1

مُرٌّ

الملح يسودُّ بالخبز

ناشف العتاب في الحلق

أن تعرّف بك على حياد

أن يظل على رأس لسانك اسم ما يزال طازج خوخه ،

تحت الأضراس.

العدُّ للعشرة

ما ينزُّ من ندم تتركه العضة على شفة أو أصابع

رحيق الجوري ، يلاك على الألسن

لبّ مشمشة لم يطرق بابه أحد

العنب في النخب المجامل

الترحاب الباذخ

اجترار الخيبة تحت تبغ النهايات

جفاء القهوة المرة

واللا طعم ،

مُرٌّ.

2

هل كان السلام ، هكذا من بعيد

أو لافحاً رؤوس الأصابع

فتاكاً إلى هذا الحد ؟

فقد كنتَ تمزق ثوب درّاقة

كانت الأكثر أناقة على الطاولة

3

أكانت هذي

هي المرّة الأولى

حتى بكلّ هذا الارتباك

بكلّ هذا المدى من الزفير ؟

تصغي فيها للبيات

كيف يثقّب في الناي شبابيكه المطلّة عليك

وأنت تحاول أن تطفئ بالندى الخائف على صوته

حريقاً شبّ بروحك

وهي في عزّ القصب .

4

الرائحة التي كانت تتأخر عنهم

تسبقهم إليك

هذان ساقان بنكهة البحر

وهذا شميم إبطين؛ كم فاحتا بالمطر؟

ذاك ضوع غابة على كتفين جربتا معي المسافة دون طريق

هذا حبقك مفروكاً بواثر كعبيها

هذا بعض من حبّات هالِك تنسرب من سحّاب حقيبتها

وحده الجوري

كان نفّاذاً برئتيك

حتى

ورداته ، تتاحف صباحاتها

في دفاترك الأولى.

5

دائماً أنت هكذا

تختار القصيَّ من المكان ، تبتعد لترى ،

فهل رأيت

المكانَ ظل ضيقاً ، وكذبة بيضاء هذا السور من الياسمين

بطناً ترهلت

لحىً طارئات

أبّهةَ المعذّب

الشامخَ الواضح في النهود المستعارة

العلوَّ كقبعة على الرأس

حيّزَ التربيت على الأكتاف ،

فضفاضَ القبل

التجّهمَ في غيرة الرجل

الطبلَ الجوال ، منفوخاً كفرقة بوحده

اللونَ الواحد للظل ،

كحلَ عينين عليك وليستا عليك

غبارَ الكتب يوحل فوق النظارات النافلة

لفيفَ وريقاتٍ يندسُّ

الأصابعَ ، تخالس ، وتشتغلُ أرقاماً

تجاعيدَ وجهٍ لم يكن هكذا ، قبل ابتسامته العجولة

دمعةً تجري بعروق نقشك في مسند الكرسي

وحرفين لم يندملا على جذع جوزةٍ

6

تماماً كما في سادسة الحواس

يتطامن فيك

حدسُك الضَّالُ

جراحُ الحواسِّ الستِّ

عقدةٌ في الجبينِ

طوقُ استِدارتها نحوك

رجفاتُ عناقٍ طويل

وشوشاتُ أجراسها على طرفٍ

احتمالاتٌ هارةٌ من خطةٍ في الوداد

الترابُ الزائد عن قصيدةٍ مجبولةٍ بالأسى

أزرارُ ليلٍ فكّها عنوانٌ ستحتارُ طويلاً ولن تجده

لاوياً عنقك المثخن بالعضّات

وأنتَ تغفو على جذعٍ لجوزةٍ

لم تغضَّ عنك ظلالها

حتى تلتحفها ، وتنام،

هكذا

مَحَلَّكَ ...

شموع

اللعنةُ

كلُّ اللعنةِ على النور

على أكتافنا كانت لقاءاتُه العابرةُ بالنّار

فكان اللفحُ

وكان أن طلعنا بسوادِ الوجهِ، ذائباتٍ من الخجل

عرايا

إلا من دخانٍ، أعْمانا فلم نرَ أبعد من أصابعنا

أطبق على حناجرنا الرّخوةِ

ليعلوَ بأبهةٍ

وتقصر قاماتنا أكثر.

لقد طاولنا الموت واقفات

ولم يخرج من رمادنا غيرُ الهبابِ الهش

أدمتْ أقدامنا مساميرُ الشمعدان

وصُلِبنا في الزوايا

لا أكثر من فزّاعاتٍ للأشباح.

اللعنةُ

على هكذا نورٍ

لقد احترقنا ولا نعرف :

أكنَّا من شمعٍ أم من دمعٍ

يجبل في صحون الرّاهبات غبارَ الأسف؟

أكان علينا أن نشتعل أم نطفأ في أعياد الميلاد

كيما نعدّ التقويم المائع للأعمار؟

أكنَّا قرابين تنقاد من رقابها إلى بصيصٍ بائخٍ

أم وسائل إيضاحٍ في دروس الصَّبر؟

لا نعرف

فهل كنَّا كمن ينسج بيديه كفنه؟

حين أسلمنا للهبِ لا يشبع خيطاننا القطنَ

وما كانت لتتركنا نتنازل عن حقّنا بالضوء

ولو انكسرنا

ولو تضاءلنا إلى بُقَعٍ

فهي حبال سرَّتنا

كانت ما تزال عالقةً بالشمس.

السّاعة

كأنّي ما اختلفت عن سواي

أنوثةٌ بالاسم،

مثلي مثل دائرةٍ، أو ألعوبةٍ، أو تحفةٍ في جيب

قلبي يدقُّ برتابة بندول

قَدٌّ لا يملأ العين

كأنما ما كان لي الصدرُ

وما لفتُّ النظر.

دائماً كنت أرى في العيون المشدودة إليَّ

حياداً أقسى من زحام الرّمل

لحظةً ويديرون لي ظهورهم

لحظةً ويمضون دونما رفّة هدبٍ

فأنكسف في الوحشةِ

كئيبة كساعة مضبوطةٍ إلى الوحدة

باردة لا أكثر من مرآب لعقارب الزّمن.

أنا لا حلم لي

أمضي إلى أمامٍ لا أعرف شيئاً عنه

أنا من هذه اليد إلى تلك

وما بوسعي أن أتجاوز حتى جلدي

وهم، لهم ذكرياتٌ وتجاربُ، وحظوظ

بوسعهم أن يكونوا ضد شيءٍ أيِّ شيء

بوسعهم أن يعاكسوا حتى ظلّهم

فلماذا كلّما أضاعوا فرصةً

لعنوا تلك الساعة؟

دمُهم ولستُ أنا

ما كان يسارع في المسرّات

ويجمد في فوات الأوان

فأنا أقودُ الأيام كبغلةٍ عمياء

وعمري ما عرفت ؛ كم الوقت

ما لي مواعيد

وما جرَّبت انتظاراً أو صدفةً

ولا أعرف معنى أن يُبكِّر الواحد، أو يتأخّر ، أو لا يأتي

فلا ذنب لي

إذا كنت أريهم الخيبات وجهاً لوجه

فأنا لا مشهدَ جانبياً لي.

دائماً من الثانيات أبدأ ، لأعود إلى الصّفر

كأني لن أهرمَ

كأني لن أستريحَ من دوخةِ اللّف

لقد درت كثيراً

كفاني.

يسمُّـونه عندنا

يُسمُّونه عندنا ؛

الوطنيّ

فهو الذي يحفظ عن ظهر قلب

اسمَها في كلِّ اللغات ،

لفظَه في رقصات الصَّيد الأول

عناقَ مساميره على الفخار

حدودَها مع الشمس

ارتفاعَ قمّاتها عن سطح القلب

احتياطيّها من المطر

أنفاسَ جيادها في السّبق

نسبةَ البياض إلى السواد في عيون البقر الوحشي

نوايا المهاجرين من فيليبَ حتى بنات حمص

سلالاتِ النبيذ ،

ألقابَ الغازين حتى اختزالَها في تحبّب الملكات

الأطوارَ التي مرّ بها ، القزُّ والبشرةُ وعقداتُ الناي

بحّاتِ الوجع الشفوي بأشعار الجوالين

مواعيدَ الكمأ

مطارحَ أقواس القزح

استراحاتِ جلجامشَ على طريق النعاس

وكم دورة يأكل القميص من مغزلها بين يدي نسّاجات ماري

شاماتِ خشبها في مجاديف نوح

المرّاتِ التي شُوهدت فيها عرائس البحر

يمشّطن شعورهن بحجر الشطّ ويغتسلن

فاركاتٍ النهدَ الأيمن بورق الغار

ومرضعاتٍ الأيسر عناقيد البلح

شجرةَ نسب غزلانها

عجائبَها في سطور الرّحالة ومعاجمِ البلدان

جهودَها في التقاويم

الأسبابَ الثالثة في الحروب التي دارت عليها

مسروقاتِها من محار الدمع حتى الطراز النادر

لخفَّين من الصندل

تواريخَ سقوط الجمرات

عناوينَ الكتب المحروقة

وتلك المسفوكةِ الحبر

ولكنّه دائماً كان ينسى

ترتيب ألوان العلم

وفقراتٍ كاملة من النشيد

طلل

رائحةُ حبرٍ آسن ،

شهيقٌ من غبار ،

فردةُ حذاءٍ تنام كبّاً على جريدةٍ بلون الذعر

فلقتا ناي

علبةٌ من تلوين عطشٍ

حبساتُ شعرٍ كالنمل

رؤوسُ القناني

كعفاريت تطلّ من أكياس القنّب المبقّع بنازح اليانسونِ

كتبٌ تقلّبُ بنفسها أوراقها

نجماتُ اللحافِ

تطلعُ من ثقوبها عشباتٌ كالإبر ،

نوابضُ بائخاتٌ

لسريرٍ ملقىً على قفاه كصرصار ميّت

نصفُ ابتسامة الموناليزا

الواضحة في القماش المجعد

أنفاسُ جرذ

فاجأه انكسار الضلّع الرابعة للّوحةِ

حفيفُ الأسرار

وهي تماسح ساقيَّ كهرّة

صدى نطحات الذكريات للحائط

زرعةُ الحبق الكثيف

لم يبق منها غيرُ المفتاح المخبأ لي

البابُ الذي يعرفني

يحاولُ جنزيراً صدئاً

وخيطانَ عناكبٍ عشّشت هنالك ؛ في المصباح المنقوف

بحصاة

ولا يتفلّت مصراعاه

إلا عن رسائل مدحوةٍ في شقوق الخشب

وخيطٍ من عطرٍ قديم

وثمّة

أنينٌ للحجر المتلفِ

وأنا أغادر قبوه

هكذا

درجتين

درجتين

التضاريس الكاملة للصدفة

القاسية !

على عجلٍ تعبرُ الصّدفةَ ،

والشوارعَ التي تتبادلُ أرصفتها

كي يمشّطها الرنين الفائقُ ، لامرأةٍ تفاجىءُ

على عجلٍ تعبر عينيَّ اللتين ترّفان في البغتة

وتعبر ارتباكي ،

حين لا أصدّقُ

أنَّ هذه أبّهتُها

تحاذي خطوي الذّابل ،

وكمتواثقة

تزخم في الغوايةِ

تخلع حرير عبورها

ولا تلامس مراياها تحت جلدي

ثمَّ لا تنتبه لروحي القافزة

ولا لحطامها تحت كعبين

يشتلان ضجيج ساقيها

في بلاط الرّصيف

القاسية !

لقد هرَّ

الارتسامُ الحرّ للفاتناتِ

وقاحةُ جسدٍ بارعٍ

الشبقُ الموارِبُ

دوائرُ الشرودِ والرّغبةِ

لهاثُ العزلة الفاخرِ

الزوايا الحادة للهتْكِ

وهرَّ الغبشُ

لما تنحّى البلّور الهائجُ للمقهى

مفسحاً كاملَ الشّمال كي تمرَّ

القاسية !

تقصّ المطر المائل عليها

من متى تحملُ مظلةً ؟

ومظلةً لا تتسع إلا لزحامها

وأنفها الجارح الغيمَ ؟

من متى لا اثنان نحنُ

نسندُ الشتاء العجوز كي يقطع فخاخ المخملِ ؟

من متى بخيلةٌ ؟

تمنع الشوارع أن تصافحَ بعضها بالماءِ ؟

من متى يدها لا تموء تحت إبطي ؟

القاسية !

أنوثةٌ وذابت !

أيَّ منعطفٍ أحنُّ منّي

حتى تكحّله بصوفها الأزرق ؟

أيّةُ غرفة ستغفو على رجع عبورها

أيّ مكانٍ سيكتملُ ؟

أيّ رَجُل سوف يشتمّ أنفاسي

في عظامها الماهرة ؟

أيّ غيابٍ يخجّل ركضي

ويترك الحيطان تتغامز عليَّ

وهي تُدّلي عن الشرفات أقدامها ،

وتفركها بمرحٍ

تحت متواصلِ المطر

القاسية !

بلّلتني بالخيبةِ

وعلى باردِ القهوةِ ، أدخل الهباء أعزلَ كصمت

لا شامتَ

غيرُ كرسيٍّ أعرجَ ، فارغٍ قربي

وخطُ رجعتها المكتوب بهامشِ البُنّ

وثمّة أيضاً

السُبابُ الفسيحُ ،

وأنا أحاول أن أجمع كسرات رأسي

المبعثرة في الصّداع .

الثلج

أنا الثلجُ

منذ أكملتُ على هذه الأرض أربعيني

لم أبنِ

حتى إصبعين على غرّة شجر

كأنّه نسي أن غصونه لم تقدر على حمل خفتي

فانكسرتْ عيداناً

يعقدون برأسها القمصان رايات

يسلامون بها مازحات الرّيح

وينشرون الفزع في رفوف الحمام

أنا

لا أحطّ على الأوتاد

كنت كلما زفت عرائس خطفوها من سرير النّهر

وقدّموها قرابين للملح الزاحف حتى مخدّاتهم

أنا والملح ضدّان

هو كفن الماء حين يموت من العطش

وأنا خميرته

ترضع الحنطة من رضابي

وكنت إذا ما ردّدت صدى حنيني اللقالق اصطادوها

قاسوا بمناقيرها الرّامات الآسنة

وألقوا بريشها في الأجباب

أنا

لست ضريراً

أنا العيون

وكنت كلما اشتقتُ ، أنهض في دفاتر الرّسمِ

مساحاتٍ لا يمسّها اللّون

أمرُّ فيما تبقى من حكايات الجّداتِ

خيّالاً أخرس ، يخدش بجواده الأبيض برد كانون

يوزع على الأحفاد بين الثلجة والثلجةِ

قبّعاتٍ ، ولفّاحات من الصوف الأزرق ، وحفناتِ زبيب

وحين صاروا ينحتون من عظامهم تماثيل لا تذوب من اللّعب

وفي عزّ الحكاية يتثاءبون

قسوت على قلبي الهشّ ، وما بنيتُ

فقط لأحفظ ناصع وجهي

أنا

لن أذوب في صفحة مرّتين

الدَّرَج

أنا الدَّرَجُ

أوّلُ من يتنفّس الصعداء

حين يلتمُّ شملكمْ

وكمشغولٍ بالعلاليّ

آخرُ من ينام

كُرمى لزوّاركم

رضيتُ أن أبقى معلّقاً بين السماء والأرضِ

كشجرةٍ دونما جذور

فزينةُ الدَّرَجِ الضّيوفُ

ولا مرّة

تأفّفتُ من خطوٍ منهكٍ

أو من نازلين دونما وجهةٍ ؛ يعاملونني مجرّد ذكرى

على هامش حجر

دائماً ، المائل على غيابكم

أداري الحزن بما تركتم لي من الظّل

كي تكفَّ الشرفاتُ عن فضولها

وتشدَّ حَيْلها الزوايا

ولكن حين لم ترجعوا

انكسر ظَهري

الذين رحلوا

الذين رحلوا

نسُوا أن يغلقوا الشبابيك

ستدخلُ الرّيحُ

وتعبث برائحتهم المعلقة على الحيطان

سيلوذُ المطرُ

فتبْتلُّ الذكرياتُ ، ويوحِلُ غبارُ حوائجِهم

وسوف تعرف الريّحُ أنْ لا أحدَ فتبيضُ زوْبعاتِها

وسوف يعلّق البرق على مطارحِ قناديلهم خصلاتِهِ الخاملة

وسوف يحين الهروب

للفراغ المزّين بانتظارهم

سوف تقصمُ الرطوبةُ ظهرَ المسامير

التي انحنتْ تحت عِلاقات صورهم

ويؤطّرُ الصدأُ المساحات التي اختفت تحت لوحاتهم

ويسيلُ ، يخدشُ أسرار قبلاتهم العجولةِ

على الحيطان الخرسِ

سوف يحشرُ الرّعد نفسَه في صدى دبكاتِهم ويُدوّخهُ بالنشاز

والندى الساحبُ خيطانه من جرّةِ الصّبح ،

كي يبني لوناً للماءِ على أصابعهم ،

سوف يتدلّى من الشرفةِ كعفنٍ مشنوق

وسوف تقضي الشرّفةُ باقي إسمنتها ،

لا أكثرَ من غرةٍ لحجر

سوف تمحو أوّلُ مطْرةٍ

فجوة ارتقابهم للتلاويح القصيرة في الزّحام

ويبني الثلجُ أحلامَه الهشّة على حواف استنادهم

ويجمدُ هديلُ حمامٍ كانَ جاءَ بأفراخهِ

كي تتعلّم الفضاء من نوافذهم

سوف تستغربُ الشجرةُ

التي عصافيرُها بعمرهم

فتطلُّ برأسها ، ولا شيءَ إلا أشباحٌ من جليد

تغتصبُ فُلاّتٍ ألقاها للْتوِّ عاشقٌ قديم

سوف يُحلِّقُ الورقُ الفالتُ في الزوايا ،

كاشفاً أنّهم رحلوا هكذا بلا عناوين

سوف لن يلبس البلّور قميص الغبش المطرَّز بكلماتهم

وسوف تُجرِّحُ كسراتُه مروري

صدرت عن الهيئة العامة للكتاب ـ
وزارة الثقافة السورية 2009

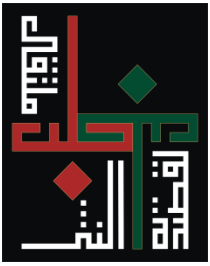

من إصدارات
ملتقى حلب لقصيدة النثر
2011